Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غريبة ، وهى إن دلت على شىء ، فإنها تدل على أنـه كان يعجب إعجـاباً شديداً بما يتخذه فى حرفته من أدوات فنية جديدة ، وهى جميعها أدواتٍ كان يريد بها أن يزخرف الفن ويزينه ، غير أنه كان يقع من حين إلى حـين على زخرف غريب غير مألوف ، فيتشبث به خصومه ويبالغون فى الإزراء عليه .

ومن المحقق أنه كان ــ فى جوانب كثيرة من هذه الصور الغريبة ــ يحاول أن يجدد وأن يلائم بين العصر وأفكار الشعر على نحو ما نرى فى قوله :

سَلَوْتُ إنْ كُنْتُ أَدْرِى ما تَقُولُ إذَنْ نَجَّتْ مَقـالَتَهـا فى وَجْهِهـا أُذُنى(٨٩)

فتلك أمثلة غريبة غرابة تلك الصورة إذ يقول :

أَتَـانِى مَـعَ الـرُّكبـانِ ظَنٌّ ظَنَنْتُـه لَفَفْتُ له رَأْسِى حَيَاءً مِنَ المَجْدِ(٩٠)

فهذا الغطاء لوجهه من الخجل غريب ! ولكن من يقول بأن الشاعر ينبغى أن يقف دائماً عند الذوق القديم ، ولا يكون رائداً لبدع جديد . ومهما يكن فقد كان أبو تمام يحاول أن يبتكر فى الصور وأن يغرب فيها ، وما فائدة الرقى العقلى الحديث الذى أصابه الشاعر العباسى إن لم يستوعب فى شعره مثل هذه الصور الجديدة . وإن الإنسان ليخيَّل إليه كأنما أصبح الشعر عنده ضرباً من لوحات الرسامين ، فهو معنىٌ فيه دائماً بالتصوير ، مشغوف بكل خيال نادر طريف .

وخلاصة القـول فى تصويـر أبى تمام ، هى أن الشـاعر كـان مغربـاً فى تصويره ، وأنه عنى بجانب التشخيص فى هذا التصوير ، ونقل المعنويات إلى ماديات . وليس ذلك فى نظرى مما يعاب به فنه ، وأن من عاب هذا الفن من النقاد نظر إليه على أنه استعارة ، وقاسها بمقياس القرب والمناسبة ، وإن لم يكن هذا المقياس مرضياً من جميع النقاد ، وحتى يتحقق الشمول فى النظرة ، كان يجب تناول الصورة الشعرية كلها ، وعدم الاقتصار على إحدى الأدوات التى استخدمت فيها .

---

(٨٩) ديوان أبى تمام ٣ : ٣٣٧ .
(٩٠) المصدر نفسه ٢ : ١١٥ .